دراسة المرويات الواردة في حادثة الإفك

وما فيها من الدروس والعبر

دراسةٌ مستفيضة من خلال كتب التفسير والسُّنّة والسير

إعداد الطالبة :

سارة بنت سعد الحربي

طالبة ماجستير فقه السنة

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً ممتداً إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وأشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

إنَّ المتأمل في السيرة النبوية، يجدها تزخر بالكثير من الوقائع المؤثرة، ذات الحكم البالغة، والفوائد الجمَّة، ومنها "حادثة الإفك" والتي انتشرت في أرجاء المدينة كانتشار النَّار في الهشيم، فكدرت صفوها، وأحرقت بلهيبها قلباً طاهراً، غُذّي من معين العفة حتى ارتوى، فأنّى له الغيّ؟!

وقد عظم الخطب ، وجلَّت الرزيَّة أن كانت المتهمة بهذه الحادثة الشنيعة أم المؤمنين، زوجة النبي ﷺ، وحبُّه وبنت حِبّه، عائشة الطَّاهرة العفيفة بنت أبي بكر الصديق– رضي الله عنهما– و يالها من فريةٍ عظيمة، وإفكٍ مبين، فكيف لمن نشأت في بيت النبوّة وترعرت فيه أن تقع في ذلك الجرم ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم .وفي هذا ابتلاء عظيم لها وللنبي ﷺ وللمؤمنين، وقد جرت سنة الله أن الأنبياء والصالحين هم أشد الناس بلاءً، وأي بلاءٍ أعظم من الظلم والطعن في العرض؟

وفي هذا البحث سأقوم بالدراسة العميقة لحادثة الإفك ابتداءً بجمع طرق روايتها، من كتب السنة والتفسير والسير، ثم درس المواقف والأحداث التي فيها دراسةً وصفية تحليلية .

*** أهمية الموضوع :**

تكمن أهمية الموضوع فيما يلي:

١-أن البحث تعرض للرواية الصحيحة التي يستدل بها للرد على الشبهات.

٢-أخذ العظة والعبرة والدروس والأحكام من الحادثة .

٤- التحذير من المنافقين، لكونهم أصل كل فتنة .

٥-جمع طرق الحديث وتخريجه .

٦- الحاجة لدراسة الحادثة ؛للعمل بالمنهج النبوي في مثل هذه المواقف .

*** الدراسات السابقة :**

وقفت على ما يلي من الدراسات السابقة للموضوع :

١-كتاب :" قال ﷺ عائشة" للدكتور ، صالح بن أحمد رضا .

٢- كتاب : " الروضة الأنيقة في الذب عن المبرأة الصديقة ، لحسين ابن حسن باقر .

٣- كتاب: "مرويات غزوة بني المصطلق" لإبراهيم بن إبراهيم قريبي .

٤- بحث مختصر:" حادثة الإفك ودور المنافقين في تحريفها وإشاعتها" لعبدالسلام اللوح وعبد الجواد الأسطل، من جامعة غزة .

- خطة البحث:

جعلت البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث على النحو الآتي:

مقدمة : ذكرت فيها أهمية الموضوع ، وسبب اختياره، والدراسات السابقة ، والصعوبات التي واجهتني، مع الشكر لأهل الفضل.

تمهيد: كيد المنافقين في المدينة .

المبحث الأول: ترجمة أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمها ونسبتها وكنيتها، ومولدها .

المطلب الثاني: العوامل التي أثرت في شخصية عائشة –رضي الله عنها– .

المطلب الثالث: مكانة عائشة عند رسول الله ﷺ .

المطلب الرابع: فضلها ووفاتها.

المبحث الثاني: حادثة الإفك ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالإفك ، وزمنه .

المطلب الثاني: المرويات الواردة في حادثة الإفك .

المطلب الثالث: ما وقع من وهم في بعض روايات حديث الإفك .

المبحث الثالث: مواقف من حادثة الإفك، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: قبل نزول الوحي ، بتبرئة عائشة .

المطلب الثاني: بعد نزول الوحي ، بتبرئة عائشة .

المطلب الثالث: فيمن تولى كبر الإفك .

المطلب الرابع: إقامة الحد على من قذف أم المؤمنين بالإفك .

المبحث الرابع : الفوائد والعبر من حادثة الإفك ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الفوائد والحكم العامة .

المطلب الثاني: الفوائد والأحكام الفقهية المستنبطة من حادثة الإفك .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

الفهارس، وفيها :- فهرس القرآن الكريم .

- فهرس الحديث الشريف.
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات.

منهج البحث :

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي، ودراسة المرويات من كتب السنة و التفسير، والسيرة النبوية ، فكان المنهج كالتالي:

١- عزو الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية في الحاشية ، إلا ما ورد ذكره عرضاً من نص حديث أو قول عالم فإني أذكرها في المتن .

٢- جعلت رواية البخاري هي الأصل، وإن كانت هناك رواية أخرى له أو لغيره فإني أوردها في المتن إن كانت قصيرة، وفي الحاشية إن كانت طويلة .

٣-في العزو ذكرت اسم الكتاب أولاً ثم مؤلفه، ثم الجزء والصفحة .

٤- إن تكرر الرجوع إلى نفس المرجع؛ فإنني أكتفي بذكر اسم الكتاب دون مؤلفه .

٥- رتبت فهرس الآيات حسب ورودها في البحث أما فهرس المصادر والمراجع حسب الترتيب الهجائي .

تمهيـــــــد : (كيد المنافقين في المدينة) :

إن المنافقين هم أشد الناس عداوةً للإسلام وأهله، فهم يقتنصون الفرص للنيل منه، يدفعهم لذلك حقدٌ دفين متأصلٌ في نفوسهم، ورغبةٌ جادّة في إغاضة المؤمنين ،وزعزعة المجتمع الإسلامي، وإضعاف أهله، بأي وسيلة تخدم غايتهم، وتحقق أهدافهم ، ومن تلك الوسائل التي استخدموها:

إشاعة الإفك المفترى على عائشة –رضي الله عنها– وقد تولى إثارة هذه الفتنة " رأس المنافقين ،عبدالله بن أبي سلول" الذي اغتنم الفرصة في غزوة بني المصطلق، وذلك حين رأى عائشة –رضي الله عنها– تأخرت بالقدوم إلى الجيش، وقد أتى بها صفوان بن معطل، فقال : (والله ما سلِمَت منه ، ولا سَلِمَ منها) وأخذ ينشر الإفك بين المسلمين، فصدّقه من صدقه ، وخاض في ذلك من خاض.

ويعود سبب الحقد الدفين من هذا المنافق الخبيث إلى أمور منها:

(١– أنَّه كان مهيئاً لتولي منصب رئاسة الأوس والخزرج، فلما جاء الإسلام؛ التفَّ أهل يثرب حول الرسول –ﷺ– وتركوه.

٢– أنَّ قوة الإسلام كانت تتزايد يوماً بعد يوم ، ولا يستطيع هو وقومه إظهار كفرهم؛ خوفاً على أنفسهم، وهو خوف متوهَّم ، لأنَّ الإسلام لا يُلزم أحداً من الناس على اعتناق دين لا يرتضيه، بل هو خوف منشأه خور نفوسهم .

٣– ضعفه الفكري والعلمي، حيث لم يستطع أن يواجه الأدلة الساطعة التي جاءت في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ ، بحجج وبراهين واضحة تظهر فساد الدين أو خطأ المعتقد الذي يدين به المسلمون)[1].

(١) انظر: " قال ﷺ عائشة " ، صالح أحمد رضا ، ص١٤٢.

المبحث الأول : ترجمة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها–:

–المطلب الأول: اسمها ونسبتها وكنيتها ومولدها:

(عائشة بنت الإمام الصِّدِّيْق خليفة رسول الله – ﷺ – أَبِي بَكْر عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي قُحَافَةَ عُثْمَانَ بنِ عَامِرِ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ[١] بنِ لُؤَيِّ القُرَشِيَّةُ التَّيْمِيَّةُ المَكِّيَّةُ أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ زوجة النبي –ﷺ– وأمها هي" أُمُّ رُوْمَان بنت عَامر بن عُويمرِ بن عبد شمس بن عتّاب بن أُذَيْنَةَ الكِنَانِيَّةُ")[٢].

– **كنيتها** : لها –رضي الله عنها– عدة كنى منها :

١/أم المؤمنين : قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴾[٣]

٢/أم عبدالله : ففي الحديث أنها قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلُّ نِسَائِكَ لَهَا كُنْيَةً غَيْرِي فَقَالَ لَهَا: «فَاكْتَنِي بَابْنِكِ عَبْدِ اللَّهِ بن الزُّبَيْرِ»[٤].

٣/ ابنة أبي بكر ، وابنة الصديق،: إنما كان الرسول–ﷺ – يناديها بذلك إكراماً لها ولأبيها، في الحديث أنها قالت: (يَا رَسُولَ اللهِ " الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا، وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ " أَهُوَ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: " لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ – " أَوْ " لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ – " وَلَكِنَّهُ " الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ)[٥].

---

(١) يشترك نسبها مع النبي –ﷺ – في "مرة بن كعب".

(٢) سير أعلام النبلاء ،الذهبي ٣/ ٤٢٦.

(٣) الأحزاب : آية ٦.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٤٣/٢٩١(٢٦٢٤٢) ، وأبو داود في سننه ٤/٢٩٣(٤٩٧٠) ،والطبراني في " الكبير" ١٣/٨٩(٢٢٣) .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٤٢/٤٦٥(٢٥٧٠٥).

ومن ذلك ما كان منها لما خاصمتها زينب بنت جحش[١] –رضي الله عنها– فردت عليها عائشة رضي الله عنها حتى أفحمتها فتبسم النبي ﷺ وقال :(إنها ابنة أبي بكر)[٢].

– مولدها:

ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس[٣]، وقضت تسع سنين في بيت أبيها –رضي الله عنه– وتسعاً في بيت النبوة .

حيث أن النبي ﷺ توفي عنها وعمرها ثمانية عشر عاماً [٤].

المطلب الثاني: العوامل التي أثرت في شخصية عائشة – رضي الله عنها– :

هناك عدة عوامل ، ساهمت بشكل بارز في رسم شخصية أم المؤمنين – رضي الله عنها– ومنها :

١/ أسرتها:

نشأت أم المؤمنين –رضي الله عنها– في بيت علم ودين، فأبوها خير البشرية بعد الأنبياء، وأتقى الأمة، وصاحب رسول الله ﷺ وأحب خلق الله إليه ﷺ، وأمها التي لم تفتأ تحسن تربيتها وتعدها لبيت النبوة، وأختها " أسماء" ذات النطاقين، التي كانت تحمل الطعام إلى رسول اللهﷺ وأبيها إذ هما في الغار، كل ذلك كان له الأثر البالغ في تكوين شخصيّةٍ مميزة، لأم

(١) هي أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رياب وَابْنَةُ عَمَّةِ رَسُوْلِ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب: فضل عائشة _رضي الله عنها –٤/١٨٩١(٨٣) والنسائي في الصغرى ٧/٦٤(٣٩٤٤)وأحمد في مسند ٤١/١٢٤(٢٤٥٧٥) .

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (٨/ ٢٣١).

(٤) انظر : الطبقات الكبرى، ابن سعد ٨/٦٤.

المؤمنين – رضي الله عنها– لتكون خير عون لزوجها ﷺ في تحمل أعباء النبوّة والدعوة[١] .

٢/ العوامل الشخصية :

تميزت –رضي الله عنها– بعدة أمور، منها :

قوة الحفظ، وشدة الفطنة والذكاء، والحرص الشديد على العلم، سرعة البديهة، وقوة الحجة، وغزارة العاطفة ،وغير ذلك من الصفات التي منحتها تفرداً خاصاً .

٣/ زواجها من النبي ﷺ :

(إن الارتباط بمرجعية الإسلام المصونة ﷺ بما يمثله من كونه (النبي، قائد المؤمنين، الذي يحمل أعباء الأمة) فإن ذلك بلا شك يزيد من قدرة الشخص على الاستفادة من إمكاناته الشخصية لأقصى حد ممكن، كما يزيد من فرص التفاعل مع الأحداث والمواقف، ويتيح له إظهار بصمته، وهكذا كانت عائشة –رضي الله عنها–)[٢] .

قال ابن عبد البر:(تزوجها رَسُول اللَّهِ ﷺ بمكة قبل الهجرة بسنتين. وقيل: بثلاث سنين، وهي بنت ست سنين، وقيل: بنت سبع، وابتني بها بالمدينة، وهي ابنة تسع، لا أعلمهم اختلفوا فِي ذلك. وكانت تذكر لجبير بْن مطعم وتسمى له، وَكَانَ رَسُول اللَّهِ ﷺ قد أري عائشة فِي المنام فِي سرقة من حرير[٣]، فتوفيت خديجة، فَقَالَ: إن يكن هَذَا من عند اللَّه يمضه. فتزوجها بعد موت خديجة بثلاث سنين فِيمَا ذكر الزُّبَيْر. وَكَانَ موت خديجة قبل مخرجه إِلَى المدينة مهاجرًا بثلاث سنين. هَذَا أولى مَا قيل فِي ذلك وأصحه

(١) انظر: قال ﷺ عائشة ، ص٢٩.

(٢) انظر: قال ﷺ عائشة، ص٢٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ؟ عائشة ٥/٦٥(٣٨٩٥)، ومسلم ، كتاب : فضائل الصحابة، باب: في فضل عائشة رضي الله عنها ٤/١٨٨٩(٧٩).

إن شاء الله تعالى. وقد قيل فِي موت خديجة: إنه كَانَ قبل الهجرة بخمس سنين. وقيل: بأربع)[١] .

٤/ الأحداث الاستثنائية التي حدثت خلال حياتها:

حيث أن المواقف تصقل قدرات الإنسان ومواهبه، ومن ضمن تلك الأحداث التي مرت بها عائشة:

١/ الهجرة النبوية .

٢/ حادثة الإفك، –وهي موضوع البحث– .

٣/ حب النبي ﷺ لها ولأبيها، وانتشار ذلك في المجتمع.

٤/ شهودها لحظات الوداع (وفاة النبي ﷺ)[٢].

– المطلب الثالث: مكانتها عند رسول الله ﷺ :

جعل الله – عز وجل– لعائشة –رضي الله عنها– مكانةً عظيمةً عند رسوله ﷺ، فقد أنزلها من نفسه أعزّ منزلة، تجلت في عدة مواقف، منها:

١– حبه الشديد لها، ومن ذلك أنه أعلن للأمة مشاعره الصادقة نحو زوجته الصالحة، فقال : "عائشة" حينما سُئل من أحب الناس إليك ؟ وقال: أبوها ، حينما سئل عن أحبهم إليه من الرجال، وكأنه اكتفى بذكر اسمها عن اسم أبيها، قال الإمام الذهبي –رحمه الله– :(وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه السلام ليحب إلا طيباً)[٣]، ولما علم الناس بذلك، صاروا (يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، يبتغون بذلك مرضاة رسول الله –ﷺ –)[٤] .

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٨٨١/٤.

(٢) قال ﷺ عائشة ،ص٢٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤٢/٢.

(٤) أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب في فضل عائشة ١٨٩١/٤(٨٢) .

٢- أنه كان يتلطف بها ويتقرب إليها بأجمل الألقاب وأحبها إلى نفسها فيقول:

" يا حميراء" كنايةً عن شدة بياضها، -فالعرب تقول لبياض البشرة: "حمرة" -[١]، تحكي-رضي الله عنها- ذلك فتقول: (دخل الحبشة المسجد يلعبون، فقال لي- تعني رسول الله ﷺ -: "يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم" فقلت: "نعم"، فقام بالباب وجئته فوضعت ذقني على عاتقه فأسندت وجهي إلى خده،... فقال رسول الله ﷺ: «حسبك» فقلت: يا رسول الله لا تعجل، فقام لي ثم قال: «حسبك» فقلت: «لا تعجل يا رسول الله» قالت: «وما لي حب النظر إليهم، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه»)[٢].

٣- (أنه كان ينزل على النبي ﷺ الوحي وهو في لحافها دون غيرها.

٤- أن الله عز وجل لما أنزل على النبي ﷺ آية التخيير بدأ بها فخيرها فقال ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك فقالت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة فاستن بها بقية أزواجه صلى الله عليه وسلم وقلن كما قالت.

٥- أن الله سبحانه برأها مما رماها به أهل الإفك وأنزل في عذرها وبراءتها وحيا يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة وشهد لها بأنها من الطيبات.

٦- أنَ الأكابر من الصحابة -رضي الله عنهم- كان إذا أشكل عليهم أمر من الدين استفتوها فيجدون علمه عندها، وقد ساعدها على ذلك ما

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للهروي ٣٧/٥، وانظر: النهاية في غريب الحديث والاثر، لابن الأثير ٤٣٨/١.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٥/ ٣٠٧، قال ابن حجر في الفتح:٢/ ٤٤٤: "إسناده صحيح ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا " .

تميزت به من فطنة وذكاء، وقوة حفظ، إضافةً إلى كثرة سؤالها للنبي -ﷺ- عما يشكل عليها، فكانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه؛ إلا راجعت به حتى تعرفه، وترويه بدقةٍ متناهية، ومن ذلك سؤالها للرسول -ﷺ- لما قال: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ»، قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[1]، قَالَ: «ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ»[2] .

٧- أن رسول الله ﷺ توفي في بيتها وفي يومها وبين سحرها ونحرها ودفن في بيتها.

٨- أن الملك أرى صورتها للنبي ﷺ قبل أن يتزوجها في سرقة حرير فقال النبي ﷺ إن يكن هذا من عند الله يمضه.

٩- أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يومها من رسول الله ﷺ تقربا إلى الرسول ﷺ فيتحفونه بما يحب في منزل أحب نسائه إليه ﷺ رضي الله عنهن أجمعين وتكنى أم عبد الله)[3].

-المطلب الرابع : فضلها:

١- نزول آية التيمم بسببها.

عن عائشة، قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش، انقطع عقدي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء.فأتى الناس أبا بكر رضي الله عنه. فقالوا: ما ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله وبالناس وليسوا على ماء وليس

(١) الانشقاق: آية ٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب : إثبات الحساب ٢٢٠٤/٤(٢٨٧٦) وأحمد في مسنده ٢٣٦/٤٠(٢٤٢٠٠) والنسائي في الكبرى ٣٢٨/١٠(١١٥٩٥).

(٣) انظر: جلاء الأفهام ، ابن القيم (ص: ٢٤٠-٢٤١).

معهم ماء ! قالت: فعاتبني أبو بكر، فقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان النبي – ﷺ – على فخذي، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، فتيمموا، فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء: ما هذا بأول بركتكم يا آل أبي بكر ! قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فوجدنا العقد تحته)(١).

٢- أنها –رضي الله عنها– من أكرم الناس في الصدقة والبر، وقد ضربت في ذلك أروع الأمثلة ،وهذه مواقف مضيئة منيرة من زهدها وجودها وكرمها:

عن عروة عن عائشة – رضي الله عنها – قال : رأيتها تقسم سبعين ألفاً وهي ترقع درعها[٢]] ، وعن عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما – قال : (ما رأيت امرأتين قطٌ أجود من عائشة أسماء، وجُودهما مختلف :أما عائشة فكانت تجمع الشئ حتى إذا اجتمع عندها قسمت، وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئاً لغد)[٣].وعن عروة :(بعث معاوية مرة إلى عائشة بمائة ألف درهم، فقسمتها، لم تترك منها شيئاً، فقالت بريرة : أنت صائمة، فهلا ابتعت لنا منها

بدرهم لحماً؟ قالت : لو ذكرتني لفعلت)[٤]، وعنه أيضاً قال : (وإن عائشة تصدقت بسبعين ألف درهم، وإنها لترقع جانب درعها – رضي الله تعالى عنها –)[٥].

(١) مسند إسحاق بن راهويه ٤٠٩/٢(٩٦٦).

(٢) الزهد / للإمام أحمد (ص:٢٠٥ – ٢٠٦).

(٣) أحكام النساء لابن الجوزي ، ص:١٢٥.

(٤) أخرجه أبو نعيم في " الحلية " (٤٧/٢)، والحاكم (١٣/٤) .

(٥) الطبقات الكبرى ،لابن سعد (٤٥/٨).

وعن محمد بن المنكدر عن أم ذرة وكانت تغشى عائشة – رضي الله عنها – قالت : بعث إليها الزبير بمـــال في غرارتين، قالت : أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبق، وهي صائمة يومئذ، فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت : يا جارية هلمي فطوري، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة :

أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه ؟ فقالت : لا تعنفيني، لو كنت أذكرتـــني لفعلت)[1]، وعن ابن يمن المكي قال : (دخلت على عائشة – رضي الله عنها – وعليها درع قطري ثمنه خمـــسة دراهم، فقالت : ارفع بصرك إلى جاريتي، فانظر إليها، فإنها تزهى أن تلبسه في البيت –أي تترفع عنه ولا ترضاه – وقد كان منهن درع على عهد رسول الله – ﷺ – فما كانت امرأة تُقيَّن في المدينة – أي تزين لزفافها – إلا أرسلت إليَّ تستعيره)[2].

–وفاتها :

انتقلت أم المؤمنين –رضي الله عنها–إلى رحمة الله ليلة السابع عشرة من رمضان ،بعد الوتر، سنة سبع وخمسين ، وعمرها ثلاث وستون سنة، قضتها بالخير والعلم والفضل، وأوصت عبدالله بن الزبير قائلةً:(لا تدفني معهم ، ادفني مع صواحبي بالبقيع، لا أزكى به أبداً)معللةً ذلك بقولها (إني أحدثت بعد رسول الله ﷺ) تقصد بذلك خروجها في موقعة الجمل .

(١) المرجع السابق(٤٦/٨)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤٧/٢) ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه البخاري ، باب الاستعارة للعروس عند البناء ١٦٥/٣(٢٦٢٨).

وقد اجتمع الناس لجنازتها وحضروا فلم تُر ليلة أكثر ناساً منها، ونزل أهل العوالي لها وصلى عليها أبو هريـــــــرة – رضي الله عنه– ، بعد الوتر ثم دفنت بالبقيع(١).

وقد غُمّ المسلمون لموتها وحزنوا حزناً شديداً ، فهذا عبد الله بن عبيد بن عمير يقول: (أما إنه لا يحزن علـيها إلا من كانت أمه)(٢).

(١) انظر: الطبقات الكبرى ٨/٤٦.

(٢) المرجع السابق .

المبحث الثاني : حادثة الإفك:

المطلب الأول : التعريف بالإفك :

أولاً: تعريف الإفك لغةً :

قال ابن فارس: ("أفك": الهمزة والفاء والكاف أصل واحد، يدل على قلب الشيء وصرفه عن جهته. يقال: أفك الشيء، وأفك الرجل: إذا كذب، والإفك: الكذب. وأفكت الرجل عن الشيء: إذا صرفته عنه. قال الله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [1] والمؤتفكات: الرياح التي تختلف مهابها. يقولون: " إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض ")[2].

(ويأفكه أفكاً : أي صرفه وقلبه ، أو قلب رأيه)[3].

ثانياً: الإفك اصطلاحاً :

قال الرازي:(أصل الإفك ، اسمٌ يدل على كذب لا شبهة فيه ، فهو بهتان يفجأ الناس، ثم أصبح علماً بالغلبة على القصة التي اتهمت فيها الصديقة بما برأها الله منه في كتابه العزيز)[4].

ثالثا: الفرق بين الكذب والإفك:

الكذب :اسمٌ موضوعٌ للخبر الذي لا مخبر له على ما هو عليه ، وأصله في العربية: التقصير،.. وسواء كان الكذب فاحش القبح، أو غير فاحش القبح.

والإفك: هو الكذب الفاحش القبح، مثل: الكذب على الله ورسوله، أو على القرآن، ومثل: قذف المحصنة، وغير ذلك مما يفحش قبحه، وجاء في القرآن

(١) الجاثية، آية ٧.

(٢) مقاييس اللغة ١١٨/١.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزابادي ٢٨٤/٣.

(٤) تفسير الرازي ٣٣٧/٢٣.

على هذا الوجه قال الله تعالى:{ويلٌ لكل أفاكٍ أثيم }[١] وقوله تعالى:{ إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم }[٢] ويقال للرجل إذا أخبر عن كون زيد في الدار وزيد في السوق: أنه كذب ولا يقال أفك حتى يكذب كذبة يفحش قبحها[٣].

زمن حادثة الإفك :

كان الإفك في غزوة بني المصطلق[٤]، ويقال لها :"المريسيع"[٥] ولكن المؤرخين لم يتفقوا على تاريخه[٦]، قال ابن إسحاق: (فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجباً، ثم غزا بني المصطلق من خزاعة، في شعبان سنة ست)[٧] وسبب هذه الغزوة (أن رسول الله ﷺ خرج وبلغه أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم: الحارث بن أبي ضرار، أبو جويرية زوج النبي ﷺ فسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالمريسيع، ماء من مياه بني المصطلق، فأعدوا لرسول الله ﷺ، فتزاحف الناس، فاقتتلوا، فهزم رسول الله ﷺ، بني المصطلق، فقتل من قتل منهم، ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم وأموالهم ونساءهم فأفاءهم)[٨].

---

(١) الجاثية، آية ٧ .

(٢) النور، آية ١١.

(٣) انظر: معجم الفروق اللغوية ،للعسكري ص: ٤٥٠.

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/ ٣٦٥، وبني المصطلق : قبيلة من خزاعة ، انظر: السيرة لابن إسحاق ٢/ ١٦٨.

(٥) ماء لبني المصطلق يقال له: المريسيع، من ناحية قديد إلى الساحل (انظر: سيرة ابن هشام ٢/٢٩٠) .

(٦) الإصابة ٨/ ٢٠٧.

(٧) السيرة ٢/ ١٦٨.

(٨) دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٤٦).

قال ابن القيّم:(وحديث الإفك لا شك أنه في غزوة بني المصطلق هذه، وهي غزوة المريسيع، والجمهور عندهم أنها كانت بعد الخندق سنة ست...لأن عائشة قالت: إن القضية كانت بعدما أنزل الحجاب، وآية الحجاب نزلت في شأن زينب بنت جحش، وزينب إذ ذاك كانت تحته، فإنه ﷺ سألها عن عائشة، فقالت: "أحمي سمعي وبصري "، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ، وقد ذكر أرباب التواريخ أن تزويجه بزينب كان في ذي القعدة سنة خمس)[1].

– المطلب الثاني : المرويات الواردة في حادثة الإفك :

أولاً: الخروج للغزوة :

وردت رواية حادثة الإفك في العديد من كتب التفسير[2] والحديث[3] والسيرة[4]، كلهم يروون الحادثة من طريق عروة عن عائشة – رضي الله عنها– .

قال البخاري –رحمه الله –:

---

(١) انظر: زاد المعاد ٣/ ٢٣٧.

(٢) منها: تفسير مقاتل بن سليمان٣/١٨٨-١٨٩، وتفسير الطبري ٩/١١٥-١٣٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٨/٢٥٤٣-٢٥٥٠، وتفسير السمرقندي= بحر العلوم ٢/٤٩٩-٥٠٥، وتفسير الثعلبي ٧/٧٦-٧٧، وتفسير الماوردي= النكت والعيون ٤/٧٩، وتفسير البغوي ٣/٣٨٩-٣٩٢، وتفسير الرازي= مفاتيح الغيب ٢٣م٣٣٩-٣٤٠، وتفسير القرطبي ١٢/١٩٧، وتفسير ابن كثير ٦/٢٠-٢١، وتفسير الجلالين ص٤٥٩.

(٣) منها: البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب : حديث الإفك ٥/١١٦(٤١٤١)واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: حديث الإفك وقبول توبة القاذف٤/٢١٢٩(٥٦) ،وأحمد في مسنده ٤٤/٦٢٨(٢٧٠٧٠)، والنسائي في الكبرى٨/ ١٦٨، وأبو يعلى في مسنده٨/٣٢٢، وابن حبّان في صحيحه١٠(٧٠٩٩)/١٣، والطبراني في المعجم الكبير ٢٣/٥٦(١٣٤) وغيرهم .

(٤) منها : المغازي للواقدي٢/ ٤٢٦-٤٣٨ ، سيرة ابن هشام ٢/٢٧٩-٣٠٩، السيرة النبوية لابن حبّان حبّان ١/٢٧٦-٢٧٩، دلائل النبوة للبيهقي٤/٦٣-٧٢، الروض الأنف ٧/٣٠-٥٠.

حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ قَالَ لَهَا: أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا، وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا، وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ، وَأَثْبَتَ لَهُ اقْتِصَاصًا، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمُ الحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ عَائِشَةَ، وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ، قَالُوا: قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي [١] ،فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ، فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي [٢]وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ، [٣]دَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ قَافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ [٤]فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ [٥] ظَفَارِ[٦]قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ

(١) قال ابن حجر: قولها: فخرج سهمي هذا يشعر بأنها كانت في تلك الغزوة وحدها لكن عند الواقدي من طريق عباد بن عبد الله عنها أنها خرجت معه في تلك الغزوة أيضا أم سلمة وكذا في حديث بن عمر وهو ضعيف ولم يقع لأم سلمة في تلك الغزوة ذكر. فتح الباري (٨/ ٤٥٨).

(٢) الهودج ، (هدج) الهاء والدال والجيم: أصل صحيح يدل على ضرب من المشي والحركة، والهودج: ما يضطرب على ظهر البعير. انظر: مقاييس اللغة (٦/ ٤٤) .

(٣) قفل : القاف والفاء واللام أصل صحيح يدل على أوبة من سفر، والقفول: الرجوع من السفر. انظر: مقاييس اللغة (٥/ ١١٢).

(٤) آذن : الأذان والإيذان : العلم والإعلام، انظر: مقاييس اللغة (١/ ٧٧)

(٥) جزع: جوهر من الجواهر، انظر: مقاييس اللغة (١/ ٤٥٣).

(٦) ظفار: مدينة في اليمن ، انظر : معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد البكري (٣/ ٩٠٤).

فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ [1]الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ [2]،وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ ، – وفي رواية : يهجهن اللحم[3]–إِنَّمَا يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ [4]فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، –وفي رواية :فيأخذون بأسفل الهودج، فيرفعونه، فيضعونه على ظهر البعير، فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون به[5]–وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الجَمَلَ فَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ – وفي رواية : فرجعت إلى العسكر[6]–وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلاَ مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي، غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، – وفي رواية : فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني –[7] وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، –وفي رواية : وقد كـــان تخلف عن بعض العسكر لبعض حاجته [8]–فَأَصْبَحَ عِنْدَ

(١) الرهط ،(رهط) الراء والهاء والطاء أصل يدل على تجمع في الناس وغيرهم. فالرهط: العصابة من ثلاثة إلى عشرة، (مقاييس اللغة (٢/ ٤٥٠).

(٢) الْمُهَبَّلُ: الْكَثِيرُ اللَّحْمِ ،الدلائل في غريب الحديث، للسرقسطي (٣/ ١١١١): لم يهبلن أي يكثر لحمهن ويرهلهن ، انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٨٨).

(٣) سيرة ابن هشام ٢٩٧/٢، وسيرة ابن كثير ٣٠٤/٣، والروض الأنف ٣٠/٧ .

(٤) العلقة : الشيء القليل ،انظر: مقاييس اللغة (٤/ ١٢٦) .

(٥) انظر: سيرة ابن هشام ٢٩٧/٢، وسيرة ابن كثير ٣٠٥/٣، والروض الأنف ٣١/٧.

(٦) المراجع السابقة .

(٧) سيرة ابن هشام ٢٩٨/٢، وسيرة ابن كثير ٣٠٥/٣.

(٨) انظر: المراجع السابقة، وقد ذكر ابن القيّم –رحمه الله – أن سبب تأخر صفوان لأنه كان كثير النوم (زاد المعاد ٢٣٢/٣) وقيل: أنه كان على ساقة العسكر، يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتيهم به . الروض الأنف ٣٢/٧، والثاني أرجح والله أعلم .

مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ [١]حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ، وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، وَهَوَى [٢]حَتَّى أَنَاخَ [٣]رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا – وفي رواية : فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله، ما أدركنا الناس، وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس –.

ثانياً : العودة للمدينة، وانتشار الإفك :

قالت عائشة –رضي الله عنها–: (فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ [٤]وَهُمْ نُزُولٌ، قَالَتْ: فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ – وفي رواية : : فقال أهل الإفك ما قالوا، فارتعج[٥] العسكر، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك[٦]–وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ الإِفْكِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ .

قال ابن القيم :(فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته، وما يليق به، ووجد الخبيث عدو الله ابن أبي متنفسا، فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه، فجعل يستحكي الإفك ويستوشيه، ويشيعه ويذيعه، ويجمعه ويفرقه، وكان أصحابه يتقربون به إليه)[٧].

---

(١) أي قوله : إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

(٢) هوى الشيء يهوي: سقط ،انظر مقاييس اللغة (٦/ ١٥).

(٣) أناخ البعير أنخته فبرك ، انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٣٦٨).

(٤) قولها: "موغرين في نحر الظهيرة " أي: في وقت الوغرة، وهو شدة الحر. انظر: شرح كتاب التفسير من مختصر مسلم للمنذري ص٣٢.، ونحر الظهرية: أول القائلة. إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض (٨/ ٢٩٣).

(٥) ارتعج : أي اشتدَّ اضطرابه . كتاب الأفعال لابن القطاع (٢/ ١٠).

(٦) سيرة ابن هشام ٢٩٨/٢.

(٧) زاد المعاد ٣/ ٢٣٣.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، [1]–وفي رواية : وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبوي لا يذكرون لي منه قليلاً أو كثيراً –وهو يَرِيبُنِي [2]فِي وَجَعِي أَنِّي لاَ أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ»، ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَلِكَ يَرِيبُنِي وَلاَ أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ حِينَ نَقَهْتُ [3]،فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ، وَكَانَ مُتَبَرَّزَنَا، وَكُنَّا لاَ نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ [4]قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، قَالَتْ: وَأَمْرُنَا أَمْرُ العَرَبِ الأُوَلِ فِي البَرِّيَّةِ قِبَلَ الغَائِطِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْمِ بْنِ المُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ المُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، [5]،فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ فَقَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ [6]وَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قَالَتْ: وَقُلْتُ: مَا قَالَ ؟

(١) وذلك بسبب مرضها رضي الله عنها .

(٢) يريبني ": يوهمني ويشككني حتى أنكر ذلك من اختلاف حاله. إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٢٩٥).

(٣)(نقه) النون والقاف والهاء كلمة تدل على البرء من المرض. مقاييس اللغة (٥/ ٤٦٤) .

(٤) الكنف في اللغة : الستر ، انظر تهذيب اللغة للهروي ١٥٣/١٠ والمراد هنا : مراحيض البيوت . . الاستذكار لابن عبد البر (٤٤٦/٢).

(٥) قال ابن هشام: و" مسطح" لقب، واسمه: عوف . سيرة ابن هشام ٢٩٩/٢.

(٦) بِمَعْنى :يا هَذِه. مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٢٧١)

فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، قَالَتْ: فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، (١)،فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ »؟ ، فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ –وفي رواية : حتى وجدت في نفسي عليه حين رأيت جفائه لي–(٢) قالت وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، قَالَتْ: فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ، مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، لَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا قَالَتْ: فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوَ لَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ (٣)وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي)

قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَكَ، وَلاَ نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟». قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا رَأَيْتُ

(١) وفي رواية عند البخاري٤ في صحيحه/١٥٥(٣٣٨٨) وأحمد في مسنده ٦٢٨/٤٤: أن امرأةً من الأنصار قالت: فعل الله بفلان وفعل، فقالت أم رومان: وما ذاك ؟ قالت: ابني فيمن حدث الحديث، قابت : وما ذاك قالت: كذا وكذا، قالت عائشة: سمع بهذا رسول الله ﷺ ؟ قالت: نعم، قالت: سمع أبو بكر ؟ قالت: نعم، فوقعت مغشيّاً عليها فدخل عليها رسول الله ﷺ فقال: ما شأن هذه؟ فقالت أمها: أخذتها حمى بنافض، فقال رسول الله ﷺ : فلعله من أجل حديث حدثت به.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢٩٩/٢.

(٣) أي لا ينقطع . شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٠٨).

عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ [١]فَتَأْكُلُهُ [٢].

وقد سأل النبي ﷺ زينب بنت جحش عن أمر عائشة –رضي الله عنهما فقال لزينب: (ماذا علمت أو رأيت؟)، فقالت: "يا رسول الله أحمي سمعي وبصري[٣]، والله ما علمت إلا خيراً" ، قال عائشة: (وهي التي كانت تساميني[٤] من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع).

قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ [٥]مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ، وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي». قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْذِرُكَ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا

(١) الداجن: هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم، وقد يقع على غير الشاة من كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها، النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٠٢.

(٢) وفي رواية أبي أسامة عن هشام "وانتهرها بعض أصحابه فقال: اصدقي رسول الله ﷺ حتى أسقطوا لها به، فقالت: سبحان الله، والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر" البخاري ٦/ ٨٩ كتاب التفسير والترمذي ٥/ ١٣ وأحمد ٦/ ٦٠ وتفسير الطبري ١٨/ ٩٤. وفي رواية هشام بن عروة "رواية ابن إسحاق" فقام إليها علي بن أبي طالب فضربها ضربا شديدا ويقول: أصدقي رسول الله ﷺ سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠١ وفي رواية ابن حاطب "وسأل الجارية الحبشية فقالت: والله لعائشة أطيب من طيب الذهب، وما بها عيب إلا أنها ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها، ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله"، قال: فعجب الناس من فقهها، مسند إسحاق بن راهويه ٤/ ١٣٤ وتفسير الطبري ١٨/ ٩٥.

(٣) أحمي سمعي وبصري: أي أمنعهما من أن أنسب إليهما ما لم يدركاه، ومن العذاب لو كذبت عليهما. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ٤٤٨.

(٤) تساميني: أي تعالني وتفاخرني، وهو مفاعلة من السمو، أي تطاولني عنده ﷺ المصدر السابق ٢/ ٤٠٥. وبمعنى :تضاهيني . (مشارق الأنوار على صحاح الآثار) (٢/ ٢٢١).

(٥) فاستعذر: أي قال: من يقوم بعذري إن كافأته على سوء صنيعه فلا يلومني. النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٩٧.

أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الخَزْرَجِ، وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتَ عَمِّهِ مِنْ فَخِذِهِ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، قَالَتْ: وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ، قَالَتْ: فَثَارَ الحَيَّانِ [١]الأَوْسُ، وَالخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى المِنْبَرِ –وفي رواية : فقال بعضهم لبعض: مَوْعِدُكم الحَرَّة! فخرجوا إليها، فنزلت هذه الآيةُ:" واذكروا نعمةَ الله عليكم إذْ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا"، الآية. فأتاهم رسول الله ﷺ فلم يزل يتلوها عليهم حتى اعتنق بعضهم بعضًا، وحتى إن لهم لخنينًا ، يعني البكاءَ قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ، حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ).قَالَتْ: فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ كُلَّهُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وفي رواية : فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ، فنزل فقال لأمي: ما شأنها؟ قالت: بلغها الذي ذكر من أمرها، ففاضت عيناه، فقال: أقسمت عليك إلا رجعت إلى بيتك، فرجعت[٢]– قَالَتْ: وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا، لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّى إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ [٣]فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ

(١) فثار الحيان: أي تناهضوا للنزاع والعصبية، شرح مسلم للنووي ٥/ ٦٣٥.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ١٢٦.

(٣) قال ابن حجر: لم أقف على اسمها. فتح الباري ٨/ ٤٧٤.

كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»، قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِّي فِيمَا قَالَ: فَقَالَ أَبِي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ: قَالَتْ أُمِّي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ: لاَ أَقْرَأُ مِنَ القُرْآنِ كَثِيرًا: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ: لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، لاَ تُصَدِّقُونِي، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ، لَتُصَدِّقُنِّي، فَوَاللَّهِ لاَ أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ (١)ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي.

ثالثاً: نزول الوحي بتبرئة عائشة –رضي الله عنها– :

قالت عائشة : وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ، وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنَ العَرَقِ مِثْلُ الجُمَانِ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ القَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ». وفي رواية : أبشري" وفي رواية : "فو الذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما زال يضحك حتى إني لأنظر إلى

(١) سورة يوسف، آية ١٨ .

نواجذه سرورا ثم مسح وجهه"– [١]قَالَتْ: فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، فَإِنِّي لاَ أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ – **وفي رواية** : فكنت أشدّ ما كنت غضباً، فقال لي أبواي: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمده ولا أحمدكما، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه، ولكني أحمد الله الذي أنزل براءتي–[٢].

وأنزل الله تعالى برائتها من فوق سبع سموات فقال عزّ من قائل :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٩٥.

(٢) المرجع السابق ١٩/١٢٦.

المبحث : الثالث: مواقف من حادثة الإفك :

المطلب الأول : مواقف من حادثة الإفك قبل نزول براءة الطاهرة المطهرة :

أولاً: موقف النبي ﷺ:

تعد حادثة الإفك في صميم المشاكل العظيمة، لأنها تعلقت بشخص الرسول – ﷺ –، وانتشرت في المجتمع وكانت أطرافها كثيرة، وقد ترتب عليها نتائج خطيرة وأحكام هامة، ونزل فيها قرآن يتلى إلى يوم القيامة [1]، لكن النبي ﷺ عالج الموقف بسياسة حكيمة، وصبر عظيم ، ووضع منهجاً قويماً للتعامل مع مثل هذه الأحداث .

لقد كلّفت أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاماً لا تطاق، وكلّف الأمة المسلمة كلها تجربة مريرة من أشق التجارب في تاريخها الطويل، وعَلَّق قلب رسول الله – ﷺ – وزوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقلب أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – وزوجه وكذلك الصحابي الطاهر صفوان بن المُعَطَّل – رضي الله عنه – بالشك والقلق والألم الذي لا يطاق، ولكنه تحملوه بكل صبر وجلد [2] .

لم تذكر المصادر التاريخية كيف وصل الخبر إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، سوى ما ذكرته السيدة عائشة رضي الله عنها من رواية البخاري ومسلم: ((... فَهَلَكَ فيَّ من هَلَكَ وكان الذي تَوَلَّى كِبْرَ الإفْكِ عبد اللَّهِ بن أُبَيٍّ بن سَلُولَ، وهنا تتجلى حكمة النبي الرسول – صلى الله عليه وسلم – الذي بُعث رحمة للعالمين، دور الزوج الحبيب المحب الذي وضع أمام امتحان صعب وتوقيت أصعب، حيث يُطعن في عرض أحب نسائه إلى قلبه، فكيف سيتصرف مع هذا الأمر؟ حيث لم ينزل الوحي لا بالإثبات

(١)عزيز محمد، رؤية عصرية لحادثة الإفك ص٢.

(٢) سيد قطب، في ظلا ل القرآن ٢٤٩٥/٤.

ولا بالنفي، و لم يتنزل بيان أو توضيح أو تفسير لهذا الخبر بل تأخر وتأخر ما يقارب شهراً، فما كان من النبي – ﷺ – إلاّ أن تصرف بحكمة في غاية الدقة حتى يتبين له الشأن، وعالج الموقف بعدة أمور:

١– الإبقاء على العلاقة الزوجية: قالت عائشة : وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ في قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ لا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ من ذلك وهو يَرِيبُنِي في وَجَعِي أَنِّي لا أَعْرِفُ من رسول اللَّهِ – ﷺ – اللُّطْفَ الذي كنت أَرَى منه حين أَشْتَكِي إنما يَدْخُلُ عَلَيَّ رسول اللَّهِ – ﷺ –، فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يقول: كَيْفَ تِيكُمْ؟ ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَذَلِكَ يَرِيبُنِي ولا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ) .

إذن: لم يعاتبها، لم يعنفها، لم يضربها، لم يطلقها، سكت ولم يبد لها تصريحاً ولا تلميحاً ، ولم يعرض لها ، ولم يسبها أو يشتمها ، ولم يخرجها من بيته، بل إنه فتح بيته لها وعادت إليه ، ومع شدة ألمه وحزنه إلا أنه جعل حبل الوصل متصلاً فكان(يُبدي لها بعضاً من اللطف وكان يسلم عليها ويسألها عن صحتها، لكنه – ﷺ – كان ينتظر من الله سبحانه وتعالى أن يَمُنُّ عليه في كشف افتراء وكذب المدّعين .

كم كانت هذه الأيام ثقيلة على فؤاد وكيان الرسول – ﷺ –فقد عاش صراعاً صعباً، سيما وأن الوحي لم ينزل عليه ، ولا أصحابه عذروه، شعور يزلزل الأعصاب، وتخر له القوى ، (لكن الأمر لم ينتهِ إلى هذا الحد بل انتقل إلى أسلوب آخر للمعالجة للوصول حقيقة الأمر)..

٢–التحقق والبيان :

لما رأى رسول الله – ﷺ – أنَّ الوحي قد تأخر كان لا بد له أن يأخذ بالأسباب المادية، ومنه أنَّه استشار أهل بيته، فبادر النبي – صلى الله عليه وسلم – على الفور (فَدَعَا رسول اللَّهِ – ﷺ – عَلِيَّ بن أبي طَالِبٍ – رضي الله عنه – وَأُسَامَةَ ابن زَيْدٍ – رضي الله عنه – حين اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا في فِرَاقِ أَهْلِه.

قال ابن القيّم : (فعلي لما رأى أن ما قيل مشكوك فيه أشار بترك الشك والريبة إلى اليقين ليتخلص رسول الله ﷺ من الهم والغم الذي لحقه من كلام الناس، فأشار بحسم الداء، وأسامة لما علم حب رسول الله ﷺ لها ولأبيها وعلم من عفتها وبراءتها وحصانتها وديانتها ما هي فوق ذلك وأعظم منه، وعرف من كرامة رسول الله ﷺ على ربه، ومنزلته عنده، ودفاعه عنه أنه لا يجعل ربة بيته وحبيبته من النساء، وبنت صديقه بالمنزلة التي أنزلها به أرباب الإفك، وأن رسول الله ﷺ أكرم على ربه وأعز عليه من أن يجعل تحته امرأة بغيا، وعلم أن الصديقة حبيبة رسول الله ﷺ أكرم على ربها من أن يبتليها بالفاحشة، وهي تحت رسوله)[1].

وقد سلك النبي ﷺ المنهج الانتقائي في الاستشارة والسؤال، فلم يكن ليستشير أي أحد ، ولكنه اعتنى بمن يرى أهمية رأيهم في صنع القرار ، منهم أسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب ، ومنهم زينب بنت جحش ، لكونها التي كانت تسامي عائشة –رضي الله عنها– ولكونها أخت حمنة التي تكلمت بالإفك ، وكذلك بريرة التي كانت ملازمة لعائشة وتعرف الكثير من شأنها.

وقد راعى النبي ﷺ مشاعر عائشة فلم يستشير كل زوجاته، ولم يسألهن عنها، لأن ذلك قد يجرح قلبها، ويورث كسراً لايجبر ،ثم إن النبي ﷺ لم يعمل بمشورة كل من استشاره ، لأنه لم تتضح له الأدلة ، وليس من شأنه أن يحكم دون توفرها.

(١) زاد المعاد ٣/ ٢٣٣.

٣- كشف المؤامرة والمتآمرين وتوثيق من أصابتهم السهام من أهل الإفك.

قال ابن تيمية:(فقوله "من يعذرني" أي: من ينصفني ويقيم عذري إذا انتصفت منه لما بلغني من أذاه في أهل بيتي والله لهم، فثبت أنه صلى الله عليه وسلم قد تأذى بذلك تأذيا استعذر منه)(١).

ما أن استوثق النبي – ﷺ – من أهل بيته حتى بادر في كشف أستار المؤامرة التي خطط لها رأس النفاق عبدالله بن أُبَيٍّ بن سلول ومن تأثر ظناً بهذه الفرية من المؤمنين الصادقين دون بيّنة، وهذا يشكل نذير خطر على ما يبدو لأن الفرية إذا كانت على نطاق ضيق لا يتعدى صفوف المنافقين فلا خطر فيها لأنَّ المسلمين متحصنون منها، ولكن حين تتعدى وتنتقل إلى داخل صفوف المسلمين وتكاد تسري فيه، فتكون كسريان النّار في الهشيم، وهي الأشد خطورة، لذا بادر النبي – ﷺ – إلى كشف المؤامرة ووأدها في مهدها إذ وقف – ﷺ – خطيباً بين الحيّين . الأوس والخزرج . ليستعذرهم عن المخطط والمدبّر لهذا الإفك المفترى.

٤- استخدم أسلوب الحوار مع زوجته :

لقد كان المقصود بالأذى هو رسول الله – ﷺ –، والتي رميت زوجته، فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها، ولم يظن بها سوءا قط، وكان عنده من القرائن أكثر مما عند المؤمنين، ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه، وفّى مقام الصبر حقه..

حمل النبي – ﷺ – همومه في نفسه ولم يكشف عمّا يكنه قلبه جراء ما سببه له أهل الإفك من معاناة قاسية أشغلته تماماً عن أهل بيته، وتأخر الوحي شهراً كاملاً وانشغاله – ﷺ – في معالجة هذا الأمر وما آلت إليه

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول .ص٤٨.

تطورات الأحداث لمعت عنده بارقة نور، فجرى على إثرها هذا الحوار الهادئ والهادف بين رسول – ﷺ – والصديقة بنت الصديق وآل أبي بكر – رضي الله عنهم –، فقال رسول الله – ﷺ – للسيدة عائشة رضي الله عنها بعد أن تشهد: (أَمَّا بَعْدُ يا عَائِشَةُ إنه بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ الله وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إليه فإن الْعَبْدَ إذا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ، تَابَ الله عليه).[1]

ثانياً: موقف عائشة –رضي الله عنها–:

لم تكن عائشة رضي الله عنها تعلم بالإفك ، وذلك لأسباب منها:

أنها كانت مريضة ، فحبسها ذلك عن الاختلاط بالناس، وهذا من رحمة الله بها، إذ لو علمت به من أول الأمر لازداد الأمر سوءاً، ولأن المجتمع في ذلك الزمن الطاهر، كان يراعي مشاعر أفراده، فلم يخبرها أحدٌ شفقة ورحمة بحالها، فلم يقل لها زوج ولا أم ولا أب ولا ضرة ، ولا صديقة ، ولا جارة ، ولا غيرهم ، وبقيت على ذلك قرابة الشهر ، لا تعلم شيئاً .

إن موقف عائشة رضي الله عنها من ضياع عقدها ، وجواب خادمتها بأنها كانت تنام عن عجين أهلها ؛ يؤكد براءة عائشة رضي الله عنها ، وأنها غافلة عن السوء وعن التفكير به ، ويصدق فيها قول الله تعالى { إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذابٌ عظيم } لكنه البلاء الذي يمحّص الله به عباده الصالحين، تعاملت – رضي الله عنها– مع الإفك بحكمة عجيبة قل أن تتحلى بها امرأة في مثل سنّها ، فلم تجزع، ولم تشتكي ولم تسب أو تشتم، لم تبرر ، لأنها تعلم أن الناس لن يصدقوها، واكتفت بتفويض أمرها لله سبحانه على الرغم من الألم

---

١ ./http://www.alukah.net/publications_competitions/0/38382

العظيم الذي اكتسح قلبها، لتنام وهي تبكي وتصبح على ذلك ، حتى ظنت أن البكاء فالق كبدها، ولقد كانت رضي الله عنها متيقنة بنصر الله لها، وقد تكلمت بكلام بليغ في الدفاع عن نفسها فقالت : (لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة ، لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم اني منه بريئة ؛ لتصدقني ، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً غلا أبا يوسف حين قال: { فصبرٌ جميل والله المستعان على ماتصفون} فكانت –رضي الله عنها– متدبرة للمعنى ، وإن كانت لاتحفظ الكثير من القرءان إذ ذاك، لصغر سنها .

ثالثاً: موقف صفوان بن معطل –رضي الله عنه:

قالت عائشة: " والله إن الرجل –الذي قيل له ما قيل –ليقول: "سبحان الله، فو الذي نفسي بيده ما كشفت من كنف[١] أنثى قط"، قالت:" ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله "[٢].

قال القرطبي : (وكان صفوان هذا صاحب ساقة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في غزواته لشجاعته ، وكان من خيار الصحابة . وقيل : كان حصورا لا يأتي النساء ؛ ذكره ابن إسحاق من طريق عائشة . وقيل : كان له

ابنان ... وقوله في الحديث : والله ما كشفت كنف[٣] أنثى قط ؛ يريد بزنا . وقتل شهيدا – رضي الله عنه – في غزوة أرمينية سنة تسع عشرة في زمان عمر ، وقيل : ببلاد الروم سنة ثمان وخمسين في زمان معاوية)[٤].

---

(١) بفتح النون، أى ثوبها الذى يسترها، كناية عن الجماع. الكنف الستر. إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٣٠٠).

(٢) أخرجه البخاري، ي صحيحه ، كتاب المغازي ، باب: حديث الإفك ١١٦/٥(٤١٤١)، ومسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب: حديث الإفك وقبول توبة القاذف ٢١٢٩/٤ (٥٦) .

(٣) والكنف الستر ، كما مرّ معنا .

(٤) تفسير القرطبي ١٨٣/١٢.

رابعاً: موقف المجتمع:

انقسم المجتمع في موقفهم من الإفك إلى ثلاثة أقسام :

أ/ قسمٌ كذبوا الإفك، ونزّهوا عائشة –رضي الله عنها – عن ذلك ، وقالوا :{سبحانك هذا بهتان عظيم}ماكان لحبيبة رسول الله ﷺ أن تكون إلا في أسمى درجات الطهر، وأرقى مراتب العفّة، كيف وقد اختارها الله واصطفاها من بين نساء العالمين، لتكون الزوجة الصالحة لسيد الأولين والآخرين، فنجحوا في الاختبار الرباني، وفازوا بأجمل الثناء من رب العالمين، ونالوا بذلك أعظم الدرجات، ومن أولئك: الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري، (إذ قالت له امرأته أم أيوب –رضي الله عنها:

"يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: «بلى، وذلك الكذب، أكنت أنت يا أم أيوب فاعلة ذلك؟» قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: «فعائشة والله خير منك» ، قال: فلما نزل القرآن ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال، ثم قال: {لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين} ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ النور: ١٢:] أي: فقولوا كما قال أبو أيوب وصاحبته)[1].

وكذلك زينب بنت جحش –رضي الله عنها– حينما سألها النبي ﷺ ، فلم تجترئ مشاعر الغيرة من الضرائر على تغيير الصدق الذي وقر في قلبها، ولم تقتنص الفرصة لتسقط قدر أحب نسائه إليه، فشمخت بإيمانها، وقالت : أحمي سمعي وبصري، عصمها بذلك الورع ، كما قالت الصدّيقة –رضي الله عنها– .

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٥٤٦.

وكذلك الحال لما سُئلت خادمة السيدة عائشة –رضي الله عنهما– وقد جاء في بعض الروايات أنها ضُربت لتقول الحق، فلم يثنها ذلك عن قول الحق ونفت عن عائشة الشر، وحكت موقفاً تنقمه عليها، يبين براءة قلب الصدّيقة، داجنٌ تأكل العجين الذي غفلت عنه عائشة!!

ب/قسمٌ سكتوا عن ذلك ، ولا يعني سكوتهم ، أنهم يظنون السوء بعائشة – رضي الله عنها– وهم الأغلب .

ج/ قسمٌ خاضوا بالإفك وتكلموا فيه : وهم عصبةٌ، أي جماعة ،منهم منافق خبيث، انتهز الفرصة ليبث سمّه، وينشر إفكه، ليطفئ بذلك شيئاً من حقده الذي كاد أن يفتك بقلبه، ومنهم مؤمنٌ صادق، ولكنه اغترّ بما سمعه، فأخفق، وقد جاءت الروايات بذكر أربعة فقط، ولا يعني ذلك أنهم هم فقط من تكلموا به، وهم :

(مسطح بن أثاثة[١] ، وحسّان بن ثابت[٢] ، وحمنة بنت جحش[٣]، وعبدالله بن أبي سلول[٤]).

(١) مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي. ويكنى أبا عباد. وأمه أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي. الطبقات الكبرى ٣/ ٣٩.

(٢) حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النّجار الأنصاريّ الخزرجيّ ثم النجاريّ، شاعر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٥٥.

(٣) حمنة بنت جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير الطبقات الكبرى ٨/ ٢٤١. وأختها (زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ).

(٤) يلقبه المسلمون بكبير المنافقين، كان سيد قبيلة الخزرج .وكان على وشك أن يكون سيد المدينة قبل أن يصلها الرسول . لديه ولد اسمه عبد الله) على اسم أبيه) وأصبح لولده شأن كبير في الإسلام وقتل في معركة اليمامة) انظر: موقع المعرفة .http://www.marefa.org/index.php .

المطلب الثاني: مواقف من حادثة الإفك بعد نزول براءة عائشة –رضي الله عنها– :

أولاً : موقف النبي ﷺ :

لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ ببراءة عائشة الطاهرة العفيفة، انفرجت أسارير النبي ﷺ ، ذلك الزوج الحنون، المشفق على زوجته، وقرّت عينه، وانشرح صدره ، وتهلل وجهه، وكأنما أشرقت له الدنيا، ولاحت له تباشير الفرج، فبشّر عائشة، في مشهدٍ يملأ العيون، ويملك النفوس، وقد شقّت وجهه البهي ابتسامةٌ عريضة، حتى بدت نواجذه

قائلاً لها : (أبشري يا عائشة، أما الله فقد برّأك)، ولم يكن ﷺ قبل الوحي يتهمها، ولكنّ قلبه قد غمّ من انتشار الإفك، وتلقي بعض الناس له بالتصديق.

ثم لم يلبث النبي ﷺ إلا أن خرج مسروراً مستبشراً ، ليعلن للأمة براءة زوجته، فيُفرح بذلك قلوباً ويحرق أخرى، لم تنل خيراً، فتموت بغيضها.

قالت عائشة –رضي الله عنها– :(فخرج رسول الله ﷺ إلى الناس مسروراً، فصعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم تلا عليهم بما نزل عليه في براءة عائشة. وأمر النبي ﷺ بمن خاض بالإفك

فجلدهم الحدّ) وفي رواية قالت –رضي الله عنها–: (لما نزل عذري، قام رسول الله – ﷺ – على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم)[1].

(١) سنن ابن ماجه ٣/ ٥٩٩.

ثانياً : موقف عائشة – رضي الله عنها– :

لم تكن –رضي الله عنها– تتوقع أن ينزّل الله فيها وحياً، يقرأ إلى يوم القيامة، وقصرت آمالها في رؤياً تبرؤها، فقالت: (لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها) كانت متيقنة بنصر الله لها ، وتقول (لأني أعلم أن الله ليس بظالمي) .

وحينما أمرها أبويها أن تقوم إلى النبي ﷺ وتقبل رأسه ،أبت وامتنعت، ولم تخف غضبها ،(وقالت "نحمد الله ولا نحمدك"، أو قالت: "والله لا أفعل ولا أحمد إلاّ الله، وفي رواية :"نحمد الله ولا نحمدك، ولا نحمد صاحبك"، فلم ينكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك ..وقال :دعها يا أبا بكر)[١].

قال النووي: "قالت عائشة ما قالت إدلالاً عليه وعتباً، لكونهم شكوا في حالها، مع علمهم بحسن طرائقها، وجميل أحوالها، وارتفاعها عن هذا الباطل الذي افتراه ظالمون، ولا حجة له ولا شبهة فيه)[٢].

قال ابن حجر: "يحتمل أن تكون تمسكت بظاهر قوله ﷺ لها: "احمدي الله" ففهمت منه أمرها بإفراد الله تعالى بالحمد، فقالت ذلك، وما أضافته إليه من الألفاظ المذكورة كان من باعث الغضب"[٣].

وقد عفت – رضي الله عنها– عمّن قذفها، بمشاعر الأم الرؤوم ، وكانت تكره أن يسب عندها حسّان، وتقول: إنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي *** لعرض محمد منكم فداء

(١) انظر: قوت القلوب للمكي ١٨٣/٢.

(٢) شرح مسلم للنووي ٥/ ٦٣٨

(٣) فتح الباري ٨/ ٤٧٧.

ثالثاً: موقف أبو بكر :

قالت عائشة: (أمّا أبواي، فو الذي نفسي بيده ، ما سُرّي عن رسول الله ﷺ حتى ظننت أن نفسيهما ستخرجان فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق لما قاله الناس) إن هذه الكلمات تصف وصفاً دقيقاً حال أبي بكر وزوجته أم رومان عند نزول الوحي على رسول الله ﷺ، لكن الفرج أعقب الكرب، ولذة البشارة طغت على مرارة الصبر.

ولما اجتاحت مرارة الحزن على أبي بكرٍ وآله ، حلف ألّا ينفق على من جحد معروفه عليه، وتكلم في عرض ابنته.

(قال أبو بكر الصديق: وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا، بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: {ولا يأتل أولو الفضل منكم} – إلى قوله – {غفور رحيم} قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

{ولا يأتل} يعني ولا يحلف {أولوا الفضل منكم} يعني في الغنى والسعة في الرزق {أن يؤتوا أولي القربى}، يعني مسطح بن أثاثة ابن خالته، والمساكين؛ لأن مسطحاً كان فقيرا، والمهاجرين في سبيل الله ؛ لأنه كان من المهاجرين الذين هاجروا إلى المدينة، {وليعفوا }:يعني وليتركوا {وليصفحوا} يعني وليتجاوزوا عن مسطح،{ ألا تحبون} يعني أبا بكر {أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم} فقال النبي– ﷺ– لأبي بكر– رضي الله عنه–:" أما تحب أن يغفر الله– تعالى– لك ؟" قال: بلى. قال:" فاعف واصفح"، فقال أبو بكر– رضي الله عنه–: "قد عفوت وصفحت، لا أمنعه معروفاً بعد اليوم، وقد

جعلت له مثل ما كان قبل اليوم. وكان أبو بكر– رضي الله عنه– قد حرمه تلك العطية حين ذكر عائشة– رضي الله عنها– بالسوء)[١].

قال الغزالي –رحمه الله –:(الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه في نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين)[٢].

المطلب الثالث: فيمن تولى كبر الإفك :

تقدم ذكر أسماء الذين تكلموا في الإفك ونشروه، وقد اختلف فيمن تولى كبر الإفك، أي : (من تحمّل معظم ذلك الإثم والإفك منهم ، وهو الذي بدأ بالخوض)[٣] وقيل: " كبره " معظم القصة، وقيل: الكبر: الإثم، وقيل: هو الكبيرة كالخطى والخطيئة)[٤].

فقيل : أنه " عبدالله بن أبي بن سلول ، كما ذكرت ذلك عائشة –رضي الله عنها– في الرواية السابقة للقصة وقد اتفق عليها الشيخان ،قال عروة: (أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده، فيقره و يستمعه ويستوشيه)[٥].

وقيل: أن الذي تولى كبره هو حسان بن ثابت ، كما في رواية البخاري عن مسروق، قال: "دخل حسان بن ثابت على عائشة فشبب وقال:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بريبة وتصبح غَرْثَى من لحوم الغوافل[٦]

حليلةُ خيرِ الناسِ ديناً ومنصباً نبيّ الهُدى ، والمَكرُماتِ الفِوَاضِلِ

عقيلةُ حيٍّ من لؤيّ بنِ غالبٍ كرامِ المساعي، مجدها غيرُ زائلِ

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٩٢).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ١٦٧).

(٣) تفسير الطبري ١١٦/١٩.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٣٠١).

(٥) انظر: صحيح البخاري ٥/ ١١٦(٤١٤١)، ومسلم ٢١٢٩/٤ .

(٦) اقتصر البخاري على ذكر أو لبيت فيها، وأتممتها للفائدة .

مهذبةٌ قدْ طيبَ اللهُ خيمـــها وطهــرها من كلّ سوءٍ وباطلِ
فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتمُ فَلا رَفَعَتْ سَوْطي إليّ أنامِلي
وإنّ الذي قدْ قيلَ ليسَ بلائق بها الدهرَ بل قولُ امرىءٍ بيَ ماحلِ
فكَيْفَ وَوُدّي ما حَيِيتُ ونُصرَتي لآلِ نبيّ اللهِ زيـــــنِ المحافلِ
لهُ رتبٌ عالٍ على الناسِ كلهمْ، تقاصـــرُ عنهُ ثورةُ المتطاولِ
رأيتكِ، وليغفرِ لكِ اللهُ، حرةً مَنَ المُحصنَاتِ غيرَ ذاتِ غوَائِلِ

قالت: "لست كذاك".

قلت: "تدعين مثل هذا يدخل عليك"، وقد أنزل الله {والذي تولى كبره منهم} . فقالت: "وأي عذاب أشد من العمى"(١). وقالت: "وقد كان يردّ عن رسول الله ﷺ"(٢).

قال ابن كثير: (وقيل المراد به حسان بن ثابت وهو قول غريب، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على إيراد ذلك، لما كان لإيراده كبير فائدة، فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن مآثره أنه كان يذب عن رسول الله ﷺ)(٣).

والراجح هو الأول والله أعلم، وذلك لأنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن الذي بدأ بذكر الإفك وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبي ابن سلول"(٤).

قال الألوسي: (فهذا عتاب للمؤمنين الذين تورطوا وانخدعوا بدعايات النفاق وأكاذيب المرجفين، والآيات التي تضمنت قصة الإفك واضحة في سياقها

(١)أخرجه البخاري ٦/ ١٠٦ تفسير سورة النور(٤٧٥٦)
(٢)البخاري ٦/ ٨٨ تفسير سورة النور، واللفظ له ، ومسلم ٧/ ١٦٣ كتاب فضائل الصحابة.
(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٦٨ و٢٧٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري ١٨/ ٨٩.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ..... وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: من الآيه ١١] وهذا هو مطلع هذه الآيات وسياقها ثم ذكرت أن الذي تولى كبره من هذه العصبة واحد منهم، فقال تعالى: {وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ، [سورة النور، من الآية: ١١] ، ولا شك أن هذا الأسلوب القرآني

في سباقه ولحاقه يدل على واحد معيّن من هذه العصبة، وهو عبد الله بن أبي ابن سلول، كما في الصحيح وغيره بخلاف ما قد يفهم من بعض الروايات التي ألحقت حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش بابن أبي في تولي كبر الإفك، فهؤلاء جماعة والآية تشير إلى واحد من عصبة الإفك، فالتعبير (بالذي) وإعادة الضمير إليه مفردا مرتين في قوله: {كِبْرَهُ} وقوله: {لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} مع ذكر العصبة سابقا واضح في أن المراد واحد بعينه من هذه العصبة هو الذي تولى كبره وعظمه)[١].

قال الهيثمي: (وأما ذكر بعض الروايات لحمنة وحسان ومسطح مع عبد الله بن أبي ابن سلول، فيفسر ذلك على أنهم ذكروا من باب التبعية لا أنهم تولوا كبر الإفك أصالة، وإنما الذي تولاه هو ابن أبي ابن سلول المنافق، لكنهم حين قالوا بقالته ذكروا معه تبعا، والله أعلم)[٢].

وقد ذكرت عائشة –رضي الله عنها– ما كان من حمنة فقالت: وطفقت حمنة تحارب لأختها، فهلكت، فيمن هلك[٣].

(١) انظر روح المعاني للألوسي ١٨/ ١٠٥– ١٠٦.

(٢) انظر : مجمع الزوائد للهيثمي٧/ ٧٧ .

(٣) انظر: انظر: صحيح البخاري ٥/ ١١٦(٤١٤١)، ومسلم ٤/٢١٢٩ .

المطلب الرابع : إقامة الحد على من قذف أم المؤمنين –رضي الله عنها– بالإفك :

عن عائشة –رضي الله عنها – قالت: "لما نزلت برائتي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فدعا بهم وحدهم"، وفي لفظ: "فأمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم"(١)، وسُمّوا في رواية أبي داود: قال: حدثنا النفيلي، حدثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، بهذا الحديث، لم يذكر عائشة، (فأمر برجلين وامرأة ممن تكلم بالفاحشة حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، قال النفيلي: ويقولون: المرأة حمنة بنت جحش)(٢).

ولم ترد رواية جلد الحد في الصحيحين ، كما ذكر ذلك ابن حجر(٣).

قال الماوردي: (وعلى هذا فلا يلتفت إلى قول من قال بأن الحد لم يقم عليهم مستندا إلى أن الحد لا يثبت إلا ببينة أو إقرار، فهذان الحديثان من أبين البينات في ذلك)(٤).

ومما يثير الانتباه، ويدعو للتأمل أن النبي ﷺ لم يقم الحد على عبد الله بن أبي سلول، على الرغم من أنه هو الذي تولى كبر الإفك ! قال الطبري: (حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثنا أبي، قال ثنا أبان العطار، قال: ثنا هشام بن عروة – عن عروة – أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: "كتبت إلي تسألني في الذين جاؤوا بالإفك، وهم كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} وأنه لم يسم منهم أحد إلا حسان بن ثابت ومسطح بن

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٧٧/٤٠(٢٤٣٢١) وابن ماجه ٥٩٩/٣(٢٥٦٧)، كلاهما من طريق محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة عن عائشة – رضي الله عنها– به .

(٢) سنن أبي داود ١٦٢/٤(٤٤٧٥).

(٣)انظر: فتح الباري ٣٤٢/١٣٠.

(٤) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٤٧٩ و٤٨١.

أثاثة وحمنة بنت جحش، وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم، غير أنهم عصبة كم قال الله تعالى) [١].

قال القاضي عياض : (يترك ذلك في جهة من له منعة ويخشى من إقامته عليه تفريق كلمة وظهور فتنة، كما لم يحد عبد الله بن أبى، وهو كان رأس أصحاب الإفك ومتولى كبره. وعندي أنه ترك حد ابن أبى لغير هذا؛ لأنه لم يأت في الحديث أنه ممن افترى، إنما ذكر أنه كان يستوشيه ويتحدث عنده به ويجمعه، وقد قيل في الذى تولى كبره: إنه غيره ممن حدّ، والحد إنما يجب على من تكلم به)[٢].

ومما يحسن أن يقال هنا : أن من أهل الإفك مسطح وحسان وحمنة ولم يرموا بنفاق ولم يقتل النبي ﷺ أحدا بذلك السبب بل قد اختلف في جلدهم،(لأن هؤلاء لم يقصدوا أذى النبي ﷺ ولم يظهر منهم دليل على أذاه بخلاف ابن أبي الذي إنما كان قصده أذاه ولم يكن إذ ذاك قد ثبت عندهم أن أزواجه في الدنيا هن أزواج له في الآخرة وكان وقوع ذلك من أزواجه ممكنا في العقل ولذلك توقف النبي ﷺ في القصة حتى استشار عليا وزيدا وحتى سأل بريرة فلم يحكم بنفاق من لم يقصد أذى النبي ﷺ لإمكان أن يطلق المرأة المقذوفة فأما بعد أن ثبت أنهن أزواجه في الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين فقذفهن أذى له بكل حال ولا يجوز مع ذلك أن تقع منهن فاحشة لأن في ذلك جواز أن يقيم الرسول مع امرأة بغي وأن تكون أم المؤمنين موسومة بذلك وهذا باطل ولهذا قال سبحانه: {يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} وسنذكر إن شاء الله تعالى في آخر الكتاب كلام الفقهاء فيمن قذف نساءه وأنه معدود من أذاه)[٣].

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٨٦.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٢٨٩).

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص: ٤٩).

المبحث الرابع : الفوائد والعبر من حادثة الإفك :

المطلب الأول: الفوائد والحكم العامة:

١/ أن الله ﷻ سبح نفسه تعظيماً لما رميت به عائشة رضي الله عنها[١].

٢/ المغفرة والرزق الكريم ،أخبر سبحانه أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شراً لها ولا عائباً لها ولا خافضاً من شأنها، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء، فيا لها من منقبة ما أجلها[٢].

٣/ تواضع عائشة –رضي الله عنها– واستصغارها لنفسها حيث قالت "ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحي يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها" [٣].

٤/ أن الله سبحانه برأها مما رماها به أهل الإفك وأنزل في عذرها وبراءتها وحياً يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة وشهد لها بأنها من الطيبات [٤].

٥/(جعل الله هذه القصة امتحاناً وابتلاءً لرسوله ﷺ، ولجميع الأمة إلى يوم القيامة ليرفع بهذه القصة أقواماً، ويضع بها آخرين، ويزيد الله الذين اهتدوا هدىً وإيماناً، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً.

٦/ اقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهراً في شأنها لا يوحى إليه في ذلك شيء؛ لتتم حكمته التي قدرها وقضاها، وتظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماناً

---

(١) الشريعة للآجري (٥/ ٢٤١٨).

(٢) جلاء الأفهام (ص: ٢٣٩).

(٣) جلاء الأفهام (ص: ٢٣٩).

(٤) جلاء الأفهام (ص: ٢٣٨).

وثباتاً على العدل والصدق، وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته، والصديقين من عباده، ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقاً، ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها، وتتم نعمة الله عليهم، ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبويها، والافتقار إلى الله والذل له وحسن الظن به والرجاء له، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين، وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحد من الخلق، ولهذا وفت هذا المقام حقه لما «قال لها أبواها: قومي إليه، وقد أنزل الله عليه براءتها، فقالت: (والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي)[١].

وأيضاً (فكان من حكمة حبس الوحي شهرا، أن القضية محصت وتمحضت، واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها، وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع، فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله ﷺ وأهل بيته، والصديق وأهله وأصحابه والمؤمنون، فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه، فوقع منهم أعظم موقع وألطفه، وسروا به أتم السرور، وحصل لهم به غاية الهناء، فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة وأنزل الوحي على الفور بذلك لفاتت هذه الحكم، وأضعافها بل أضعاف أضعافها.

٧- إظهار الله منزلته ﷺ وأهل بيته عنده، وأيضا فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه، وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه والرد على

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٣٤).

أعدائه وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب إليه بل يكون هو وحده المتولي لذلك الثائر لرسوله وأهل بيته)[١].

٨- أن كلام أهل الإفك في عائشة كان مبدؤه من المنافقين وتلطخ به طائفة من المؤمنين، وهكذا كثير من البدع كالرفض والتجهم مبدؤها من المنافقين، وتلوث ببعضها كثير من المؤمنين لكن كان فيهم من نقض الإيمان بقدر ما شاركوا فيه أهل النفاق والبهتان[٢].

٩- إنه وإن تضرر الإنسان بالكذب عليه، لكن لما كانت عاقبته منفعةً زائدةً كان خيرًا لا شرًّا[٣].

١٠- قال الغزالي بعد ذكره لعفو أبي بكر :(إنما يحسن الإحسان إلى من ظلمك فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن إحسانك إليه لأن في الإحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم)[٤] .

١١-أنه لم يقع في القرآن من التغليظ في معصية ما وقع في قصة الافك بأوجز عبارة وأشبهها لاشتماله على الوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ذلك و استبشاعه بطرق مختلفة وأساليب متفقة كل واحد منها كاف في بابه بل ما وقع من وعيد عبدة الاوثان الا بما هو دون ذلك وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥].

١٣- تورع أمهات المؤمنين عن الخوض في عرض ضرتهن مع توفر الدواعي .

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٣٥).

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٥٤).

(٣) جامع المسائل لابن تيمية (٦/ ٢٤٩) .

(٤) إحياء علوم الدين (٢/ ١٦٧).

(٥) بهجة المحافل وبغية الأماثل يحيى الحرضي (١/ ٢٥٧) نقلاً عن الزمخشري .

١٤- قوة شخصية عائشة رذي الله عنها من قولها(فتحولت إلى فراشي واضطجعت) .

١٥- وفيه حمد عاقبة الصبر[١].

١٦- وفيه شكر الله على إحسانه بالعمل الصالح، كما رد أبو بكر النفقة لمسطح. ولقوله: {أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ}[٢].

١٧- فيه تقديم الكبير للكلام على الصغير فى المهمات، وفى مخاطبة أهل الأمر والموقرين. وقولهما: " ما ندرى " إذا كان الأمر الذى سألتهما ما لا يقفان منه على زائد على ما عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يأتيه الوحى، من حسن الظن بها والسير إلى الله تعالى[٣].

١٨- فيه أن النبي ﷺ بشر يحتاج إلى حنان الزوجة وعطفها، ورعايتها واهتمامها، لذا كان يقرع بين أزواجه في كل سفر يريده .

١٩- فيه أن الألم النفسي قد يتحول إلى عضوي، كما هو حال السيدة عائشة –رضي الله عنها– حيث أنها نقهت ثم عاد مرضها بعد سماعها الخبر.

٢٠- أن من مقاصد حادثة الإفك إسقاط القدوة ، وتفكيك الأسرة .

٢١- فيه فضل مواساة المكلوم ، من قولها(فاستأذنت امرأة من الأنصار فأخذت تبكي معي).

٢٢- في هذه الحادثة سلوى، لكل من ابتلي بمثل ما ابتليت به عائشة رضي الله عنها، وأن الله سيبرأه كما برأها.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٢٨٦).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٢٨٦).

(٣) المرجع السابق (٨/ ٢٩٤).

المطلب الثاني: الفوائد والأحكام الفقهيّة المستنبطة من حادثة الإفك :

١- أن مؤذي النبي -ﷺ- لا تقبل توبته إذا تاب من القذف، حتى يسلم إسلاماً جديداً، وعلى هذا فرميهنَّ نفاقٌ مبيحٌ للدَّم، إذا قصد به أذى النبي -ﷺ- أو أذاهن بعد العلم بأنهن أزواجه في الآخرة، فإنَّه ما بغت امرأة نبيٍّ قط[١]، (ومن آذاه في أهله أو في عرضه يقتل؛ لقول أسيد: "إن كان من الأوس قتلناه" ولم يرد عليه النبي -ﷺ- شيئاً، فكذلك من سبَّ عائشة بما برأها الله منه، فإنَّه يقتل لتكذيبه القرآن المبرئ لها وتكذيبه الله ورسوله. وقال قوم: لا يقتل من سبَّها بغير ما برأها الله منه. قال المهلب: والنظر عندي يوجب أن يقتل من سب أزواج النبي -ﷺ- بما رميت به عائشة أو بغير ذلك؛ لأنَّ قول أسيد: (إن كان من الأوس قتلناه) إنما قال ذلك قبل نزول القرآن، ولم يرد النبي -ﷺ- قوله، ولو كان قوله غير الصواب لما وسع النبي -ﷺ- السكوت عنه؛ لأنَّه مفروض عليه بيان حدود الله، ومن سب أزواجه -ﷺ- فقد آذاه ونقصه فهو متهم بسوء العقيدة في إيمانه بالنبي -ﷺ- فهو دليل على إبطانه النفاق)[٢].

٢- أنَّه لا يجوز للمسلم أن يبقي زوجته عنده وهي بغي، (والنبي -ﷺ- إنما لم يفارق عائشة لأنَّه لم يصدق ما قيل أولاً، ولما حصل له الشك استشار عليا، وزيد بن حارثة، وسأل الجارية؛ لينظر إن كان حقاً فارقها، حتى أنزل الله براءتها من السماء، فذلك الذي ثبت نكاحها. ولم يقل مسلم: إنه يجوز إمساك بغي)[٣].

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص: ٤٧).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٩/٨- ٤٠).

(٣) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ١٨٢).

و(لا يصلح له أن تكون امرأته غير طيبة وقد روي {أنه لا يدخل الجنة ديوث} والديوث الذي يقر السوء في أهله)[١].

٣- مشروعية تعديل النساء بعضهن بعضا[٢]،(في أبواب الشهادة)[٣].

٤- جواز خروج النساء إلى حاجة بغير إذن أزواجهن.

٥- أن المرأة لا تخرج إلى دار أبويها إلا بإذن زوجها.

٦ جواز خدمة الرجال لما يركبنه النساء من الدواب، واحتمالهن في الهوادج.

٧- ترك مكالمة النساء ومخاطبتهن ، وفيه حسن الأدب والمعاملة والعشرة مع النساء الأجانب، لا سيما في الخلوة بهن عند الضرورة، كما فعل صفوان من تركه مكالمة عائشة وسؤالها، وأنه لم يزد على الاسترجاع).[٤]

٨- مشروعية كتم ما يقال في الإنسان من القبيح عنه، كما كتم قول الناس في عائشة عنها حتى أعلمتها أم مسطح به.

٩- للسلطان والإمام أن يشتكي بمن يؤذيه في أهله، وفي غير ذلك إلى المسلمين وأن يستعذر منه.

١٠- مشروعية مشاورة الرجل بطانته في فراق أهله لقول قيل.

١١- وجوب البحث والتحري قبل الحكم ،بالبحث عن الأخبار الواردة إن كان له نظائر أم لا، لسؤال النبي -ﷺ- بريرة وأسامة وزينب وغيرهم من بطانته عن عائشة، وعن سائر أفعالها وما يغمص عليها، والحكم بما يظهر من الأفعال على ما قيل.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٢٣).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٣٧).

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٢٨٦).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٢٨٦)

١٣- فضيلة من شهد بدراً من المسلمين، وأنَّ الدعاء عليهم وجفاء الكلمة منهم مما يجب أن ينكر، كما أنكرته عائشة على أم مسطح في ابنها، مع ما للأبوين من المقال مما ليس لغيرهما.

١٤- توقيف المقول فيه على ما يقال وأمره بالتوبة إن كان أذنب.

١٥- أن الاعتراف بما فشا من الباطل لا يحل ولا يجمل، فلا يجب لأحد أن يعترف على نفسه بما لم يفعله، وإن علم أنه في إنكاره يُكذّب وفى اعترافه يُصدّق لقرينة تدل على ذلك، بل لا يجب أن يقول إلا الحق [١].

١٦- ترك حد من له منعة والتعرض لما يخشى من تفرق الكلمة وظهور الفتنة، كما ترك النبي ﷺ لحد عبد الله بن أبى ابن سلول.

١٧- أن المعصية والتعصب في الباطل يقدح في العدالة، وينقل عن اسم الصلاح كما نقلت سعد بن عبادة من الصلاح عصبيته لعبد الله بن أبى عن حاله؛ لقول عائشة: (وكان قبل ذلك رجلا صالحا) [٢].

١٨- أنه قد يسب الرجل أو يرمى بشيء نسب إليه، وإن لم يكن فيه ما نسب؛ لقول أسيد: (كذبت لعمرو الله؛ فإنك منافق تجادل عن المنافقين) ولم يكن سعد منافقا لكن مجادلته عنه استحل منه أسيد أن يرميه بالنفاق.

١٩- أن الشبهة تسقط العقوبة كما سقط الحد.

٢٠- معاقبة المؤذي بقطع المعروف عنه)[٣].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٢٨٦).

(٢) انظر :المرجع السابق (٨/ ٢٩٠).

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/٣٩- ٤٠).

٢١- فيه مشروعية القرعة والرد على من منع منها[١]، قال ابن المنذر: واستعمالها كالإجماع بين أهل العلم فيما يقسم بين الشركاء، ولا معنى لقول من رده[٢].

٢٢-(وفيه إغاثة الملهوف، وعون الضعيف، وإكرام من له قدر، كما فعل صفوان في ذلك كله.

٢٣- الكشف عن الأمور المسموعة والبحث عنها لمن يهمه ذلك ويعنيه. وأمَّا مِنْ غَيره فتحسس وفضول ممنوع، كما سأل – عليه السلام – زينب وبريرة.

٢٤- معاداة الولي وليه في الله، كما فعلت أم مسطح من دعائها على ابنها، وحلف أبى بكر ألا ينفق عليه.

٢٥- وفيه الحكم بالظاهر، وحسن الظن بالمسلمين، لا سيما بأهل الفضل، وأنه لا يلتفت إلى افتراء مفتر عليهن، كما اعتقده جمهور المسلمين في شأن عائشة.

٢٧- وفيه جواز النزوع بالقرآن والاحتجاج به في النوازل، والتأسي بالأنبياء والصالحين لقول عائشة: " ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ}.

٢٨- وفيه جواز التسبيح عند استعظام الأمر والتعجب، كما قالت عائشة: سبحان الله! وقد تحدث الناس بهذا. وقالت بريرة مثله، وصفوان مثله، وقد قال الله تعالى: {لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوه} إلى قوله: {سُبْحَانَكَ}.

٢٩-فيه جواز الحلف بقوله: " لعمر الله " وقول ذلك، ومعناه: بقاء الله)[٣].

---

(١)انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٤٥٨).

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٢٨٦).

(٣) المرجع السابق (٨/ ٢٩١) .

٢٩- بينت هذه الحادثة قاعدةً عظيماً في الشرع، وهو أن الأصل السلامة ، وبقاء ما كان على ما كان .

٣٠-أن المرء كما يجب عليه كف لسانه عما لم يشهده ويراه بعينه؛ يجب عليه أيضاً أن يحفظ عرضه بتجنب مواطن الشبهات .

٣١-أن الشارع اهتم بصيانة الأعراض، لذا شرع حد القذف على من استهان في ذلك .

٣٢- أن سوء الظن جرم عظيم ، قد يترتب عليه عقاب.

الخاتمة :

بعد أن طوّفت في هذا البحث، أحمد الله حمداً كثيراً طيباً ، أن شرفني به ، لأعيش فيه مع ذلك الزمن الطاهر الجميل، فأرشف من معين النبوة شيئاً أهتدي به في غربتي، وأستنير بنوره، وأستن بسنته في كل حين.

وقد توصلت في ختام البحث إلى ما يلي من نتائج :

١- أن النبي ﷺ تزوج بعائشة – رضي الله عنها- وهي بنت ست سنين ، وبنى بها وهي بنت تسع .

٢- عظمة منزلة عائشة – رضي الله عنها- عند النبي ﷺ ، حيث أنها أحب الناس إليه .

٣- هناك عوامل أثرت في بناء شخصية عائشة –رضي الله عنها- ميزتها عن غيرها .

٤- أن عائشة –رضي الله عنها- من أكرم الناس، وأجودهم ، وأكثرهم زهداً .

٥- أن أصل الإفك ، اسمٌ يدل على كذب لا شبهة فيه ، فهو بهتان يفجأ الناس، ثم أصبح علماً بالغلبة على القصة التي اتهمت فيها الصديقة بما برأها الله منه في كتابه العزيز .

٦- أن جميع المرويات التي ذكرت حادثة الإفك ، حدثت بها عائشة –رضي الله عنها – .

٧- أن حادثة الإفك كانت في غزوة بني المصطلق (المريسيع) وقد اختلف المؤرخون في تأريخها .

٨- سبب الإفك تأخر عائشة –رضي الله عنها – في البحث عن عقدها، ومسير الجيش عنها .

٩- نشر المنافق عبدالله بن أبي سلول إفكه على إثر مجيئها مع صفوان بن معطل –رضي الله عنهما.

١٠- مرض عائشة – رضي الله عنها- كان رحمةً من الله ، إذ حال دون علمها بالإفك .

١١- لم تعلم –رضي الله عنها- بالإفك إلا بعد مرور فترة طويلة ، قاربت الشهر .

١٢- أن الله تعالى أنزل براءة عائشة في عشر آيات من سورة النور .

١٣- أن النبي ﷺ حد الذين تكلموا في عرض عائشة وهم مسطح ، وحسان ، وحمنة .

١٤- لم يقم النبي ﷺ الحد على عبدالله بن أبي سلول –وهو الذي تولى الكبر – لخشيته من الفتنة، لأن له غلبة، ولأن الحد فيه تكفير للذنوب، وهو منافق لا يطهره الحد .

١٥- أن حادثة الإفك فيها الكثير من لعبر والدروس العامة والفقهية .

التوصيات :

أوصي بنشر هذه الحادثة في أسلوب يناسب الناشئة ، وتدريسها ضمن مقررات للسيرة النبوية .

فهـــرس الآيات الكريمة

الآيـــــــــة	رقمها	الســـــورة	الصفحة
﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ... ﴾	٦	الأحزاب	٣٤٤
﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴾	٧	الانشقاق	٣٤٩
﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴾	٧	الجاثية	٣٥٣
إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ..... وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾.	١١-٢٠	النور	٣٧٨
﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾	١٨	يوسف	٣٦٣
﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ..... ﴾	١٢	النور	٣٧١

فهرس الأحاديث الشريفة

الحديـــــــــــــث	الصفحة
(كل نسائك لها كنية غيري)	٣٤٤
(يارسول الله ، الذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة)	٣٤٤
(إنها ابنة أبي بكر)	٣٤٥
(أري عائشة في سرقة من حرير)	٣٤٦
(من أحب الناس إليك ؟ قال عائشة)	٣٤٧
(يا حميراء، أتحبين أن تنظري إليهم ؟)	٣٤٨
(من حوسب يوم القيامة)	٣٤٩
(بلغه أن بني المصطلق يجمعون له ..)	٣٥٤
(استعذر من عبدالله بن أبي سلول)	٣٧٩
(إن كنت بريئة فسيبرئك الله)	٣٦٣
(ياعباس ، ألا تعجب من بريرة ..)	٣٦٠
(أبشري ياعائشة ، أما الله فقد برأك)	٣٦٣
(أمر برجلين وامرأة فضربوا الحد)	٣٧٣

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم
٢- أحكام النساء، لابن الجوزي ، الناشر: مكتبة ابن تيمية، سنة النشر: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م .
٣- إحياء علوم الدين ، للغزالي، الناشر: دار المعرفة – بيروت . (لا يوجد تاريخ للطبعة).
٤- إكمال المعلم بفوائد مسلم ، للقاضي عياض ، الناشر: دار الوفاء ، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ .
٥- الاستذكار ،لابن عبد البر ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.
٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
٧- الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.
٨- الأفعال، لابن القطاع، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٩ – الدلائل في غريب الحديث، للسرقسطي، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ .
١٠- الروض الأنف ، لأبي القاسم السهيلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
١١- الزهد، للإمام أحمد ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
١٢- السنن الكبرى للنسائي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٣- السير والمغازي، لابن إسحاق، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

١٤- السيرة النبوية ،لابن هشام ، الناشر: مطبعة مصطفى البابي بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.

١٥- السيرة النبوية، لابن حبان ، الناشر: الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٧ هـ .

١٦- الشريعة، للآجري ، الناشر: دار الوطن – الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

١٧- الصارم المسلول على شاتم الرسول ،لابن تيمية ، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

١٨- الطبقات الكبرى ، لابن سعد الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ.

١٩- الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

٢٠- القاموس المحيط ، للفيروز آبادي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،ط:٨، ١٤٢٦هـ.

٢١- المعجم الكبير للطبراني دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة: الثانية .

٢٢- المغازي للواقدي ، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٩/.١٩٨٩

٢٣- النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

٢٤- بهجة المحافل وبغية الأماثل ، يحيى الحرضي ، الناشر: دار صادر – بيروت.(لا يوجد تاريخ للطبعة).

٢٥- تفسير ابن ابي حاتم ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ.

٢٦- تفسير ابن كثير ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .

٢٧- تفسير البغوي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

٢٨- تفسير الثعلبي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.

٢٩- تفسير الجلالين ، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى (لا يوجد تاريخ للطبعة) .

٣٠- تفسير الرازي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٣١- تفسير السمرقندي ، دار الكتب العلمية ، (لا يوجد تاريخ للطبعة) .

٣٢- تفسير الطبري ، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

٣٣- تفسير القرطبي ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م .

٣٤- تفسير الماوردي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان (لا يوجد تاريخ للطبعة) .

٣٥- تفسير مقاتل بن سليمان ، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.

٣٦- تهذيب اللغة ، للهروي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٣٧- جامع المسائل ، لابن تيمية، الناشر : دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢ هـ.

٣٨- جلاء الأفهام، لابن القيم ، الناشر: دار العروبة – الكويت ،الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

٣٩- حلية الأولياء ،لأبي نعيم ، الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م

٤٠- دلائل النبوة ،للبيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ.

٤١- روح المعاني ، للألوسي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٤٢- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم، الناشر: مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط:٢٧ ، ١٤١٥هـ .

٤٣- سنن ابن ماجه ،الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

٤٤- سنن أبي داود ،الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

٤٥- سنن الترمذي ،الناشر: دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،سنة النشر: ١٩٩٨ م

٤٦- سنن النسائي ،الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

٤٧- سير أعلام النبلاء ، للذهبي الناشر: دار الحديث- القاهرة ،الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٤٨- شرح النووي على مسلم = المنهاج ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٤٩- شرح صحيح البخاري ، لابن بطال ، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ .
٥٠- صحيح ابن حبان الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٥١- صحيح البخاري الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٥٢- صحيح مسلم ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٥٣- غريب الحديث، لابن الجوزي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ.
٥٤- فتح الباري ، لابن حجر الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.
٥٥- قال ﷺ عائشة ، صالح بن أحمد رضا ، دار الخيل للنشر ، ١٤٣٤هـ.
٥٦- مجمع الزوائد ، للهيثمي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
٥٧- مجموع فتاوى ابن تيمية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، عام النشر: ١٤١٦هـ .
٥٨- مستدرك الحاكم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.
٥٩- مسند أبي يعلى الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.
٦٠- مسند إسحاق بن راهويه الناشر: مكتبة الإيمان – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ - ١٩٩١.
٦١- مشارق الأنوار على صحاح الآثار ،للقاضي عياض، دار النشر: المكتبة العتيقة (لا يوجد تاريخ للطبعة) .
٦٢- معجم الفروق اللغوية ،للعسكري ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٦٣- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد البكري ، الناشر: عالم الكتب، بيروت ط:٣، ١٤٠٣هـ

٦٤- مقاييس اللغة لابن فارس، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٥- موقع المعرفة http://www.marefa.org/index.php.

٦٦- قوت القلوب، للمكي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣٣٩
تمهيد	٣٤٣
المبحث الأول: ترجمة أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–	**٣٤٤**
المطلب الأول: اسمها ونسبتها وكنيتها، ومولدها	٣٤٤
المطلب الثاني: العوامل التي أثرت في شخصيتها	٣٤٥
المطلب الثالث: مكانة عائشة عند الرسول ﷺ	٣٤٧
المطلب الرابع: فضلها ووفاتها–رضي الله عنها	٣٤٩
المبحث الثاني: حادثة الإفك ،	**٣٥٣**
المطلب الأول: التعريف بالإفك ، وزمـنه	٣٥٣
المطلب الثاني: المرويات في حادثة الإفك	٣٥٥
المبحث الثالث: مواقف من حادثة الإفك،	**٣٦٥**
المطلب الأول: قبل نزول الوحي ، بتبرئة عائشة	٣٦٥
المطلب الثاني: بعد نزول الوحي ، بتبرئة عائشة	٣٧٣
المطلب الثالث: فيمن تولى كبر الإفك	٣٧٦
المطلب الرابع: إقامة الحد على من قذف أم المؤمنين بالإفك	٣٧٩
المبحث الرابع : الفوائد والعبر من حادثة الإفك ،	**٣٨١**
المطلب الأول: الفوائد والحكم العامة	٣٨١
المطلب الثاني: الفوائد والأحكام الفقهية المستنبطة من حادثة الإفك	٣٨٥
الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات	**٣٩٠**